أزمة الحركة الثورية في اميركا اللاتينية (١)

هناك الكثير من اوجه التشابه بين الحركة الثورية في امريكا اللاتينيه وبينها في البلاد العربية ، ولذلك فـان الاطلاع على التجربة الثورية هناك ، والحوار الدائر حولها والدراسات التيتجري بشانها ، يظل مهما ليس فقط للتعرف علـى تطورات العمل الثوري ، الفني ، فـي امريكا اللاتينية ، ولكـن ايضا لتصويب خطوات التجـارب الثورية العـربية ، والتفاعل مع التطورات المستمرة على صعيد العمل الثوري في العالم ..

الدراسة التالية كتبها ((ادغار رودريغز)) ، عضو القيادة المركزية لجبهة التحرر الوطني لفنزويلا، وسيلاحظ القارىء المدى الذي ينطبق فيه تحليل رودريغز على التجربه العربية ايضا ..

« الهدف »

تعيش الحركة الثورية في امريكا اللاتينية ، في بداية السبعينات تمخضات لـم يكن من الممكن توقعها منذ عشرة اعوام : ففي تلك الفترة كانت الحركة الجماهيرية في حالة مد وثقة بالنفس ، على طول القارة الامريكية وعرضها . وكانت امريكا اللاتينية تحتفل بحماس بالعيد الاول لانتصـار الثورة الكوبية . وكل ما أتت به هـذه الثورة من جديد ومن وعود . اما اليوم فالوضع فـي ازمة ، رغم ان هناك عددا من المكتسبات والمبادىء الاساسية التي اصبحت واضحة لكل مناضل ضد الامبريالية : ان الكفاح من اجل التحرر ومـن اجل الاشتراكيه سوف يكون مسلحا ، طويلا ، متواصلا وذا افق قاري . ومع بداية السبعينات، تبـدأ مرحلـه صعبه حيث سيصطـدم البحث المتاصل لتحديد طرق وأساليب الكفاح المسلح على ضوء خصائص ومميزات امريكا اللاتينية ، واستنـادا الـى عشرة سنوات من الانتصـارات والهزائم ، من التجارب والنتائج ، فـي كل من الاقطار المعنية ، سوف يصطدم بعقبات عديدة .

ان عملية تحت بهذا القدر من التعقيد كانت غير واردة منذ عشرة أعوام ، اذ كان يبدو الافق ساطعا امام الشعب المتظاهر في احياء العواصم ، يغمره شعور الفرح بالفتوحات وتصميـم حـازم اكتسبه على اثر اسقاط الديكتاتوريات الارهابيه فـي البيرو وكولومبيا وفنزويلا وكوبـا وسانتـا دومينغو ، وكـان الشعور بالثقة الساذجة هو الشعور المهيمن ليس فقط في أوساط الطليعة ، بل ايضا في أوساط واسعة من الطبقات الشعبية التي اشتركت في قلب ما كان يعتبر « النظام القديم » : كان من الممكن اذا السير الى الامام ، حتما ، وفورا نحو نظام جديد ، لا يـزال غامضا بالطبع في تصور الاكثرية ، لكنه لن يكون بالتأكيد نسخة عن النموذج الستاليني الذي كان لفترة طويلة رديفا للاشتراكيه . وكان على هذا النظام، الذي ما برح آنذاك في عالم الخيال ، ان يتميز بوظيفته الثورية ، وخاصة المضادة للامبريالية . وكانت هذه الفكرة قد ارست جذورهـا لـدى شعوب امركا اللاتينية حتى قبل انتصـار الثورة الكـوبية . ويكفي ان نـذكر احـدى حوادث الانتفاضات البروليتارية ، التي تعاقبت مـا بين ١٩٥٨ و ١٩٦٢ من لاهافانا الى مونتيفيديو ، لكي نفهم ماذا ستكـون افرازات هذه الانتفاضات ، ويكفي ان نتذكر تعبير الهلع الذي بدا على وجه نيكسون (فـي الصور الموزعة فـي كل انحـاء العالم) وكان آنذاك نائبا لرئيس الجمهورية ، عندما قطعت جمهرة من الطلاب الغاضبين الطريق على سيارته المسلحه ، لكـي نفهم ان امـركا اللاتينية بدأت منذ عام ١٩٥٨ تعي وضعها النيو ـ كولونيالي ، وضروره الخروج منه .

ولقد حوّل قلب باتيستـا في كوبـا ، وتعاقب الانتصارات التى حققها شعب كامل بقيادة قائـد فذ ، الشعور بالامكانات الكامنة لدى الجمـاهير اللاتينية الى ارادة ثورية مثابـرة ومصممة على احداث تغيرات محددة .

وفي نفس الوقت الـذي كانت تنضـج فيه الاهداف ، كانت الوسائل لبلوغها تتحدد اكثر فاكثر : في هذه الفترة عادت حرب العصابـات التي كانت قد قمعت في كولومبيا الـى الظهـور مجددا ، بينما انفجرت لاول مرة عمليات مغاوير انتفاضية في جبال ومدن غواتيمالا وفنزويلا .

في عام ١٩٦٢ فضح جيفارا الامبريـالية فـي مؤتمر بنتادل استي في الاورغواي ، استنـادا الى وثائق وجدها الطلاب في سيـارة السفيـر الامريكي في فنزويلا عندما اضرموا النار فيهـا ، وخلال هذه السنه ، نمت مظـاهرات الاعتراض في المدن والقرى ، ونصبت اول كمائن الثوار في ارياف غواتيمالا وكولومبيا وفنزويلا . وكانـت امريكا اللاتينية باسرها تعيش حالة من « الطرب الثوري » .

ماذا حدث منذ ذلك الوقت ؟

ما هي الصعوبات التي ظهرت ؟

الى ماذا أدت مثل هذه الامكانيات الثوريه ، مثل هذا الجهد ، هذه الدماء ، وهذه الاوهام ؟

بعبـارات اخرى : مـا هو الوضع الحقيقي الحاضر للحركة الثورية في امريكا اللاتينية ، وما هي آفاقها ؟

تلك هي الاسئله التي نجد ، بعد عشرة اعوام، وفي مستهل عقد جديد ، انه مـن المفيـد طرحها لكي يناقشها الثوريون مناقشه رصينة ومخلصة . واصبح هذا الموضوع اكثر الحاحا فـي الوقت الذي يزعم البعض الوصول الى الاهداف الثوريه بطرق جديده ، بينما تنشأ حكومـات ذات مظهر مجدد في بعض الاقطار وهي على وشك البروز في اقطـار اخـرى مستخـدمة الشعارات الوطنيـة والمضادة للامبريالية التي يمكن ان تستقطب ـ او تضلل ـ الجماهير في الوقت الذي لـم يستطع فيه اليسار المسلح ان يتجاوز آزمته المزمنه ، بينما ـ وهذا اخطر ـ تميل الطليعه التاريخية للثورة الامركية اللاتينية ، كوبـا ، الى الاهتمام فقط بمشاكلها الخاصة ، مبتعدة بشكل ملموس عن الاطار القاري للثوره .

لم يعد من الممكن تأجيل الحوار المفتوح بـين الثوريين حول واقع امريكا اللاتينية ، عبر كـل القنوات المتوفرة ، عندما يصمت اولئك الذين هم اكثر كفاءة للتحدث عن هذا الواقع . ان صمت الذين يصنعون الثورة عن المشاكل ، والمهمـات والاختيارات والامكانيات التي يواجهها الحركـة الثورية ، تزيد من التشوش العام حول مصيـر النضال ضد الامبرياليه في هذا الجزء من العالم.

يجب المبادرة بالحوار عبر كل وسـائل التعبير المتوفرة ، لان المنابر التي شكلت لهـذا الغرض منذ ثلاث سنوات ، كالمؤتمرات والندوات القاريه قد كشفت عن كونها أجهزة احتفالية تفتقر الـى الفعالية .

اذن نحن نطالب بالنقاش ، وندعو كل المجلات التقدمية والثورية في القارات الخمس لان تلعب دور مكبر الصوت بالنسبة لمختلف الاراء ، فـي هذا الجدل الضروري بين رفاق السـلاح ..

ونحن نتكلم عن المباشرة بالحوار ، لاننا نظـن انه رغم المحاولات الجدية (كمحاوله دوبريـه وهكتور بيخار ومرسينو دي اندلادي) التي ظهرت في السنوات الاخيرة ، والتي هدفت الى تحليل الوضع الثوري في امريكا اللاتينية ، فان التجدد المستمر للاوضاع يرغم على رفع الجدل الـى مستوى اعلى :

علينا ان نحلل الطبيعة المتغيرة لظاهرة قاريه وعضويه : الصدام معالسلطة النيو ـ كولونيالية الرجعيه ، وذلك استنادا الى القواعد الاقتصاديه والتاريخية لتلك الظاهرة واستنادا الى المستقبل الكامن في التجارب الثورية الماضيه والحاضرة . ونتأكد يوما بعد يوم ان هذا الصدام مع السلطة الرجعية يشكل المخرج الوحيد مـن التخلف والاستغلال ، وبكلمة واحدة ، اننا نتكلـم عن الكفاح المسلح .

١ ـ استخلاص تأويلي للتاريخ القريب حتى عـام ١٩٦٠

في نهاية الخمسينات ، كان يخيم على امـركا اللاتينية ، جو من التمرد العام ضـد الانظمـه العسكريه الارهابيه التي كانتالامبرياليه الامركيه قد فرضـها آنذاك على شعوب جنوب امـركا ، وكانت هذه الموجة واحده من الموجات الدوريه من الانتفاضات الشعبيه ، التي تعاقبت منـذ بداية القـرن ، بسبب اختناق القوى المتجـه الجديده فـي نظـام كان ، عدا تكونه لصالح المروبولات ، يعتمد على بنيان اقتصـادي زراعي متخلف .

ولقد ظهرت ثروات جديده وأسـاليب زراعه جديدة تسمح بازدياد الانتاجيه ، لكنهـا تتناقض مع نظام اللاتيفونديا (الاقطاعـات الريفيه) ، المتخلفه سكونهـا . وأرغمت هـذه التطورات الجديـدة الاوليغركيات المحلية ، كمـا ارغمت الامبرياليه سيدها ، على التفكـر لاول مـره بضرورة تجديده وتحديثه : فيجب ان يتم احلال انماط انتاج اكثر تقدما محل الانماط البـاليه بأقل قدر ممكن من الهزات وفي اطار الراسمالية بدون المساس بالتوازن العام او خلق اختلال فيه .

وبالطبع ، كانت هذه التحولات الضروريـة داخل النظام الامبريالي في هذه الظروف المتغيره، وكـان هـذا التكيف الضـروري داخل اطـار الاستعمار الجديـد مع الواقع الجديـد ، قـد فرضها الوعي الطبعي المتنامي للعمال والثـورة الصناعية التي كانت تنتشر بسرعة فـي امـركا اللاتينية . وكانت هذه التحولات الضرورية تحمل في طياتها مخاطر كبيره بالنسبة للطبقات المسيطرة المحلية، وبالنسبة للاحتكارات الامركية. وبالفعل رافق بعض محاولات « التحديث البنيوي » (كما يجري الان في بيرو وبوليفيا) مد جماهيري بلغ من الحدة درجة ارغم على أثرهـا البنتاغون على تجميد حتى هذه المحاولات الخجولة !..

ومن قبل ، في عام ١٩٥٤ ، عندما حاول نظام اربنز التقدمي فـي غواتيمالا ، استنادا الـى الاكثريـة الوطنية ، القيام ببعض الاصلاحـات المحدودة التي تمس بمصالح احتكار « اليونايتد فروت » الشهير ، قررت حكومه ايزنهاور الاطاحة باربنز عبر غزو قام به عدد من المرتزقة والرجعيين

وفي فنزويلا حاولت حكومة اصلاحية تضـم بعض المدنيين من « حزب العمل الديمـقراطي » وبعض الضباط ان تقوم ببعض الاصلاحات بـين عامي ١٩٤٥ و ١٩٤٨ الا ان انقلابـا عسكريا قاده الملحق العسكري الامريكي بنفسـه ، أطاح بها .

وبالواقع لم يكن هناك اي سبب للتخوف ، فلم تصرح الحركة التجديديه التحديثية النيو ـ كولونيالية سوى نفرات بنيوية ليست ثوريـة سوى ظاهرا ، وكان الهدف النهائي منها ، حتى المزيد من الثروات من قبل الدول الاستعماريـة والطغم الحاكمة المحلية ، عن طريق استغـلال مضاعف للشعب الكادح . وبالطبع ، كان اطـار الحماس الشعبي الذي رافق جميع هذه البادرات عاملا لصالح التحرك الثوري الحقيقي. لكن غياب الطلائع الفعلية المضادة للامبريالية ، جعل مـن غير المحتمل استلام السلطة من قبل البروليتاريا والفلاحين والبورجوازية الصغـرة الراديكـالية وبالتالـي احداث تحـولات عميقة فـي البنى الاقتصادية والاجتماعية القائمة .

ليس هناك اي سبب يدعو الى الظن ان امركا اللاتينية في الاربعينات كانتتفرز ظروفا موضوعية اقل مما كان متوفرا في الصين او كوريـا مثلا ، بالعكس ، فان أزمة الراسمالية الجديـدة المزمنة في القارة ، والحركات الاجتماعية التي تفجرت كافرازات لعملية التصنيع العنيفة فـي وسط متأخر، وضرورة ابدال الاليات السلطوية القديمة بآليات أخرى تعبر عن التطورات التي حدثت في المستوى الاقتصادي ، كل ذلـك كان يمثل ارضا مثاليـه للممارسه الثوريه . لكـن التوجيه والشعارات الواضحه والصائبه كانت غير موجودة .

في بداية العشرينات ، منذ ان ظهرت الاحزاب الامركيـه اللاتينيه المتجانسة فـي الكومنترن ، وخـاصـه في مكتبـه فـي جزر الكـاريبي ، ابدت افتقارا هائلا للخيـال السياسي و[illegible] غريبا فيما يتعلق بتأمين قياده الجماهير العمالية .

فـي البدايه غلبت النزعة المعصوبة والميل الوسواسي الى التطبيق الحرفي لبرامج الاحزاب الاوروبيه ، رغم كون هذه الاحزاب تقود نضالات البروليتاريا ضد السلطة البورجوازية ، والتي نضالات العمال والفلاحين ضـد الامبريالية كما كانت الحال بالنسبه الى امريكا اللاتينية . ادت مثل تلك الممارسه باغلبية الاحـزاب الشيوعية في القاره الى ان تبقى معزولة عن الجماهير وعن المنظمات التقدمية .

ثم في سنه ١٩٣٦ ، اقر الكومنترن خط تكوين « الجبهات الشعبية » فبدلت فجاة سياسات الاحـزاب الشيوعيه كليـا ، واسترسلت في العكس في سياسات انتهازيه واضحة .

ودخلت أغلبية الاحزاب الشيوعية في طريق ادت بها الى ان تصبح في أحسن حال قوى تدعم الارهـاب العسكري للاوليغرشيات الريفية بدون امتلاك خط عمل يتعدى مسالة النضال ضد الدكتاتوريه ، وفي اسوأ حال حلقات صداقة مع الاتحاد السوفياتي ، مستعدة « للقفز والتزلف » مع حكومات مضادة للشعب

اما وظيفة قيادة الجماهير التي لـم تمارسها الاحزاب الشيوعية فعليا قط ، فقد طالبت بها واستولت عليها في الاربعينات ، مجموعة من الاحزاب « الشعبية » الشابة التي تكاثرت آنذاك في البيرو (آبرا) وبوليفيا (م.ن.ر) وغواتيمالا (ب.ر.ج) وفنزويلا (العمـل الديمقراطي) وكوبا وغيرها .

وفي البدء، طرحت هذه الاحزاب على الجماهير برامج اصلاحات كانت من السعة والشمول لدرجة انها استقطبت الى هذه الاحزاب فئات واسعة من الطبقات الكادحة . وعندما وصلت هذه الاحزاب الى السلطه ، حاولت ، بصعوبـات كبيرة ، ان توفق ولو لفترة وجيزة ما بين متطلبات التحديث الملحة للاستعمار الجديد وبين عطش الجماهير الامركية الجنوبيه المزمن والمكبوت الى الثورة .

وباختصار فاما ان تثبت هذه الاحزاب انها عاجزة عن تخطي بعض الاصلاحات الخجولة ، واما ان تطيح بها زمر عسكرية تريد العودة الى « النظام القديم » .

وفي الاربعينات ايضا دخلت الىحلبة السياسة الاحزاب الاشتراكية الديمقراطية ، مع قادتها المدنيين ذوي النظارات الكبيرة والياقات البيضاء يتحدثون عن الديمقراطية ، ويرددون كلمة الشعب صباح مساء ، ويطرحون اشـكالا سياسية تقيلة للتحـالف العسكري ـ الاقطـاعي الكلاسيكي . ولسوف تكون هذه الاحزاب مصدر اوهام ليس فقط بالنسبة للبورجوازية الليبرالية ـ وهذا امر طبيعي ـ التيتشكل هيئة اركان هذه الاحزاب بل ايضا بالنسبة لقطاعات واسعة من المضطهدين وبالاخص بالنسبـه للفـلاحين الذيـن ظنوا ان البرنامج الاشتـراكي ـ الاصلاحي يعلن عن قدوم « مسيح » او « مهدي » ليحررهم مـن « اسياد الارض » . وبالفعل ، اقالت السلطة الجديدة وكيل الاقطاعة (الكاباتاز) من وظيفته كرئيس للمجموعة الريفية ، واحلت محله الحلاق او معلم المدرسة او تاجر الخمور اي احد اهالي القرية الموالين الحال الذين اصبحوا من انصار السلطة الجديدة المتحمسين .

وبالمقابل ، راى المالك الكبير فـي اصلاحات السلطة الجديدة ، الشيوعية عنها ، الـى ان اكتشف بعد فترة قصيرة ان اراضيه الشاسعة لم تصادر بل « حزب » ، اي ان الدولة ستشتري الجزء الاوفر منها .

وبعد ان اسلم تعويضه الـذي لا يستهان به ، استطاع الاقطاعي السابق الذكي ان يوظف اموالا كبيرة بما تبقى له من آلاف الهكتارات ، واصبح صاحب صناعة زراعية حديثه ، تستعمل اساليب الانتاج المكثفه ، وتجني لـه اضعاف الارباح التي كان يحققها عندما كان يملك اقطاعته مما لا يجعله يتحسر على الزمن القديم !!

وفي هذا الوقت ، كان العامل الزراعي الذي عمل سابقا في اراضي الاقطاعيه « المحجوزة » تلقى قطعة صغيرة من الارض تمثل حصته مـن الاصلاح الزراعي . ولكنه لـم يستطع ان يحصل معيشته من منتوج هذه القطعة لضيقها وفقـره وجهله وافتقاره الى المساعدة الفنية التي طالمـا وعدت بها الدولة ولكنها لـم تأت قط . وفي نهاية المطاف يضطر هذا الفلاح الصغر لان يعمل كعامل زراعي مأجور على أراضي المالك الكبـر ، فـي نفس شروط الاستغلال او في شروط اسوأ مـن التي كان يعيشها عندما كان يعمل فـي اقطـاعيه سيد الارض !!

ويصبح مجددا تحت امرة سيده السـابـق ، الذي تحول الى رب عمل وهو مثله « عضو في الحزب » (!) الاشتراكي ـ الديمقراطي الاصلاحي

لقد فتحت الاشتراكية الاصلاحية فـي امركا اللاتينية صفحة تاريخية من الاوهام والتضليـل كقوة سياسية لعبت دورا رجعيا في عملية اعادة بناء الجهاز النيوكولونيالي القديم ، والتكييف مع التحولات الاقتصادية الجارية مع تخفيف الاثار الاجتماعية للتحديث قدر المستطاع. وهذهالعملية هي اليوم في طور الانجـاز في أغلبية اقطـار امركا اللاتينية .

في امكنة اخرى ، يوجـد تحول فـي نفس الاتجاه ويتعمق هذا التحول بمساعدة او بقيـادة الامبريالية عبر اشكال حكم تختلف مع اختلاف ظروف واوضاع كل قطر من أقطار العالم الثالث.

ومن الممكن ملاحظة هذا العنصر الجديد، اذا نظرنا الى العلاقات بينالبناء الاقتصادي والبنى الفوقية السياسية فـي امركا اللاتينية . لقـد كانت الديمقراطية التمثيلية في الاربعينات مرتبطـة بالتحولات الاقتصادية الجارية آنذاك ، وبعد عدة سنوات مع كندي وسياسة « التحالف من اجل التقدم » ، عاد هذا الشكل من الديمـقراطية كنموذج مطروح على كل أقطار القارة ، لكنه دخل في مرحلة عجز وتفكك مع نمو الانتفاضات الثورية المسلحة التيتتجاهل قوانين «اللعبة الديمقراطية» ومنعها من الاحتفاظ بمظاهر الشرعة فـي ظل حرب اهلية قائمة . ويصبح وقتذاك المحتوى الرجعي للاصلاحات الديمقراطية المزعومة اكثـر وضوحا بالنسبة للراي العام، ويدفع هذا الوضع الامبريالية الامركية منالمواقف المطلقة الى سياسة « ردود الفعل اللينة » حسب الظروف ومن اجل الدفاع عن النظام النيوكولونيالي . ومـن هنا العودة فـي بعض الاحيـان الـى الدكتـاتورية العسكرية المفضوحة (البرازيل ـ الارجنتين) او المحافظة على الديمقراطية التمثيلية كورقـة مفيدة كما في فنزويلا : اذ انه في حال تبني حل عسكري مفضوح من قبل الامبريالية ، تكـون مخاطر الثورة الشعبية والاستقطاب حول البؤر الثورية الموجودة اكثر مما يمكن المجازفة به .

لم تكن مرحلة الاشتراكية ـ الاصلاحية ، وما تمثله على المستوى البنوي ، محتمة من زاويـة تاريخية . واذا كانت الوقائع تبدو وكانها تبرهن على العكس ، فان الاستثناء الكوبي يقـدم لنا تكذيبا صريحا لهذا التاويل .

فاذا استطاعت الاشتراكية الاصلاحية ان تحتل مرحلة من تاريخ هذه القارة ولا تـزال تحتل ، فذلك فقط لانه لم يوجد باستثناء كوبـا طلائع ثورية تستطيع فهم واستيعاب المرحلة واستباق كل قوى الاستعمار الجديد .

٢ ـ التوجه الصحيح في العمل الثوري : العوامل الايجابية والسلبية في بدايات الكفاح المسلح فـي امركا اللاتينية

عندما انتصر الشعب الكوبي في كانون الثاني ١٩٥٩ كانت القوى الثورية في القارة ـ بما فـي ذلك كوبا ـ موزعة علىشراب الاحزاب والحركات السياسية . والقليل من هذه الحركات كان يمكن نعتها فعلا بالثوريه اما اغلبها فكـان من النوع « الشعبي » . وكانت هـذه الاحـزاب المختلفة تعتمد في جوهرها ونضالاتها على وفـرة العناصر الشابة الملتزمة ضمن اطارها . وكانت خارجـة مـن عشر سنوات مـن المقاومة الشاقـة وحتى المنهكه . ولكن دون آفاق واضحة ، للانظمـة الرجعية العفنة ، فوجدت في التجربة الكـوبية نموذجا ثوريا مختلفا ، ومفهوما للنضال مغايـرا لتجربتهـا الخـاصة فـي الاحـزاب الشيوعية الارثوذكسية ، حيث التضحيات العديدة لم تؤد ابدا الى نتائج ملموسة ، وحيث خطـة العمـل كانت دائما تحدده قيادات بعيـدة عن الارض العملية النضال .

ومن ناحية أخرى فان طابع الاسطورة الـذي ارتداه الكفاح الثوري الكوبي ، كان لـه الاثـر العاطفي العميق فـي الشبيبة البروليتاريـة والطلابية والفلاحية التي كانت تعيش ظـروف تحركات سياسية محلية ، وتطمح الـى تكـرار التجربة الكوبية في مسار نضالها المحلي .

لقد قدم الكفاح الكوبي دروسا أدى استيعابها الى تحويل جذري في سياسة اليسـار الامـركي اللاتيني : لقد ذكر هذا الكفاح مناضلي القـارة بهذا المبدأ الماركسي البسيط الـذي غاب عنهـم قليلا او كثيرا الا وهو ان هدف النضال الثوري في نهاية المطاف هو الكفاح من اجل السلطـة السياسية ، هو التحرك الفعلي للجماهير ضد البورجوازية، هو بناء الاداة التي تستطيع مجابهة أدوات القمع الرجعية وتفتيتها والقضاء عليها .

عندما استوعبت الحركات اليسـارية المشتتة هذه الدروس ، حدث انقطاع وتحول فـي تطور الفكر الثوري الامركي اللاتيني . وفي عقل كل مناضل ثوري تبدلت مفاهيم وتصورات الممارسة السياسية ، وتمت القطيعة النهائية مع كل التراث السابق الذي اثبت عجزه . واتخذ العمل الثوري في القاره طابعه الحالي المهيمن : طابع الكفاح المسلـح ضـد الامبرياليه وضد عملائهـا المحليين في مختلف الاقطار والامصار . فتلـك كانـت المساهمة الكبرى التـي قدمتها الثـورة الكوبية لمسيرة الثورة في القارة الامركية ، ومن هنا يمكن ان نعتبر انتصار هذه الثورة بمثابـة افتتاح طور جديد في تاريخ تحرر القارة . وتلقي هذه المساهمة مسؤولية كبرى على عاتق كوبـا ، مسؤولية ان تلعب دور طليعة حركة الكفاح المسلح في امركا اللاتينية .

وهكذا ابتدأ الكفاح المسلح في القارة في ظل ظروف ملائمة :

ـ مشاركة جماهيرية في الانتصارات الحـديثة على اعتى الفئات الاقتصادية والسياسية رجعية (والمرتبطة بالجزء المهترىء من البنى النيـو ـ كولونيالية) .

ولاول مـرة ، تفهـم النواة الثورية للطـابـع الحقيقي لمهماتها التحويلية .

لكن العوامل المعرقلة لـم تكن اقل اهمية : اولا تبعثر وتشتت اليسار والافتقار الـى طلائع « طاهره » اي متحررة من الرسوبات الايديولوجية والنتشئه للاحزاب الارثوذكسية. وسوف تؤدي هذه الرسوبات فيما بعد الى صراعات داخلية : هزال البنى الاصلاحية اولا ، ثـم ازمة نهـائية ، فانشقاق يستقطب القوى الايديولوجية السليمة التي تستطيع ان تفهم ان الكفاح سيكون كفاحا من اجل الاشتراكيه عبر حرب قاريه ، شعبيه وطويله الامد ضد السلطه الامبرياليه . وسوف تكون عملية اعادة اكتشاف ، واعـادة ابداع اداة النضال اكثر تعقيدا واكثر تشوشا لانها ستظهر اما داخل الاحزاب الشيوعيه في الوقت الذي ستكون فيه هذه الاحزاب مضطره لان تبني مواقف ثورية مؤقتة ، واما داخل حركات شابة كـ «المير» في بيرو وفنزويلا التي بالرغم من كونها انبثقت عن القطيعة مع الاصلاحية ، فانها لا تزال تحمل معها العديد من مساوىء الحـركه الاصلاحية ـ الام ..

ـ وسـوف تظهـر معضلات اخـرى ، بسبب التفسيرات الخاطئه التي ستعطى لشعار الكفاح المسلح وبسبب الحـاجه الماسه الـى القطيعة الجذرية مع كل الماضي ، باخذ الماضي ككـل ، وايضا مكامن التضليل في الانتصار الكوبـي ، وارادة من هم أكثر عنفوانا بالانطلاق من الصفر .

ـ وهكذا ، دخلت نواه الحـزب والجيش المضاد للامبرياليه الى المعرك ، على ارض ظهرت من المدرعات القديمة ، وعلى ضوء انتصار سوف يحدث ، حتى في صفوف أفضل الثوريين الكثير من الاوهام وسوء الفهم الى جانب الكثيـر مـن التشجيع والفوائد الجمة .

ومع ارادة العمال الجديدة ، ظهر تيار عفو وتبسيطي لا يتناسب مع الوضع الصعب والمعقد الذي توجد فيه الحرب الثورية ، وقـد حلل هذا الوضع بدقة ، جيفارا في مقال نشره عـام ١٩٦١ :

« لقد تعلمت الامبريالية كل دروس هزيمة كوبا ولن تدع نفسها في المستقبل تفاجا في اي مـن المستعمرات التي لا تزال قائمه ، في اية بقعة من بقاع امركا . وهذا يعني ان نضـالات شعبية كبيرة ضد جيوش غازية عظيمة سوف تنتظر من سيتزعم في المستقبل تدمير سلم القبور ، السلم الروماني . وهذا مهم ، لانـه اذا كانت حرب التحرير الكوبية صعبة وشاقة في سنواتها الاثنين من المعارك المتواصلة ، من القلق والتقلب ، كـم ستكون اصعب واعنف بكثير من المعارك التي تنتظر الشعب فـي كـل البقـاع الاخرى مـن القارة الامركية » .

ويتناقض هذا الوعي المتفوق مع اللامسؤولية الانتهازية التي ابدتها بعض الاحزاب الشيوعية ، فلقد دفعت هذه الاحزاب الى الكفاح المسلـح عصابات كبيرة من الشباب ، ثـم تخلت عنهـم وتركتهم لاسوأ المصائر ، لعجزها عن قيادة الكفاح المسلح علـى المستوى التنظيمـي والايديولوجي والتكتكي .

وهناك ايضـا روحية الارتجـال لـدى بعض الثوريين الحقيقيين ، مما ادى الى سوء تقديـر القوى الامبريالية على المستوى التكتيكي .

وقـد وجـد هـذا الارتجـال اكثر تعبيراتـه دراماتيكية فـي استشهـاد جيفارا نفسه فـي بوليفيا عام ١٩٦٧ ، وهو الرجل الـذي جعل النضال الثوري في امركا اللاتينية يصل الـى مرحلة جديدة .

في العدد القادم :
١ ـ سوء تقديـر العـدو ، سوء تقدير الظروف .
٢ ـ مناقشة لنظريات دوبريه
٣ ـ المدينة والريف .

تقدم أصدق التهاني واطيب التمنيات بمناسبة عيد الاضحى المبارك